قصة علمية

بقلم: نهاد شريف

كانت القاعة تمتلئ عن آخرها.. تحتق بالضجيج والحركة والألوان.. وقد استشرى فيها الدفء رغم انهمار الجو وهطول المطر حثيثا بالخارج...

ومن خلال نغمات موسيقى بعيدة.. رتيبة الايقاع.. انبعثت ايضا موجات فوق صوتية غير مسموعة.. موجات تخاطب اللاوعي.. وعلى الفور استكانت الحركة وماتت الأصوات وشخصت أكثر من نصف مليون عين إلى الامام.

عبر كوجانبي اطلت بدن قصير يغطيه شعر أسود لامع.. سرعان ما دلف إلى مقصورة معتمة تطل على الأعين المترقبة وتعلو قاماتها قليلا.. وفي واجهة من بللور شفاف.. وبينما قعد البدن القصير في حلة فوق ما يشبه المقعد.. انضجت وراءه قامة رجل فارع يرتدي معطفا أبيض ويضع على أنفه عوينات ملونة رقيقة.. وجمد البدن وتحول تمثالا ذاكنا نحو تاباه وتحفظ..

وعلى عكسه راح الرجل الفارع يلتفت حوله في قلق.. وتحفز.. بدا كأنه يتفحص الوجوه قبل أن يلقي كلمته فتصيب كل واحد منهم في مقتل.. لكنه أطال صمته.. وأطال تعذيبهم.. ليشير في ختامه إلى البدن القصير ويهمس..

وحملت آلاف الخلايا البالغة الحساسية همسه إلى كل إذن..

- سادتي.. ما الذي تتصورون أن أقوله لكم.. وقد تعقبت صحافتنا والصحافة العالمية الوقف تماما فأصبحتم تعرفون قصتنا.. تحفظونها وتنشدون بكل تاباها وتفاصيلها.. أجل.. لا أظن أن كبيرة أو صغيرة تخصها إلا وأتيتم على بينة كاملة بها.. ولعل خير ما أفعله في هذه اللحظة أن أترككم وإياها.. بطلة حقيقية.. بل بطلة هذا العام وحتما بلا منازع.

سادتي.. ها هي ذي «لولو».. أول قردة ناطقة يعرفها تاريخ البشرية.. تقف امامكم لتوجهوا إليها مباشرة.. ما يعن لكم من أسئلة فتجيبكم بصوتها.. بكلماتها.. ودون أي تدخل من أي شخص..

وجلس الرجل وانكمش..

وانهمر سيل الاسئلة

لستجيب الصوت الحاد الرفيع الحروف.. وقد تسلل عبر طيات الشعر الأسود.. وعبر لافتات الصوت الدقيقة.. وعبر دهشة العقول وحيرتها.. فتروح تلقي إجاباته في جمل مبتورة تحمل الشيء.. جملة ومتشككة.. لكنها محدودة ومفهومة.. وبلغة..

أنا قردة.. أتكلم..

أنا أتكلم.. أجل الكل معلمي.. لولو

أنا كما يقول معلمي.. أول قردة تنطق.. كلمات الإنسان.. وتتفاهم بها.. معه..

أنا لست حيوانا.. أنا كائن.. من سلالة.. نطقها.. وتقاليدها مثلكم

وتتوالى الأسئلة وتنثيب.. وتتلاحق الإجابات في التحاق بها.. وأنا.. وأنا.. في حين ينسحب الرجل رويدا رويدا ليحلق إلى جب عميق سحيق داخل من ذكرياته

من أعماق الذاكرة برز ذلك اليوم الحار.. أنه بالتأكيد أحد الأيام الأواخر من مارس عام ١٩٨٥

وخلال الشريط المتلاحق شاهد سيارته تطوي الطريق الاسفلتي المتلوي حتى لاح له في نهاية زمن طويل المبنى الواطئ الشيد وسط الصحراء.

وامتلكته موجة بالغة النشوة وهو يغادر السيارة ويلق الدرجات القليلة متمهلا.. لكن الحال تبدد سحره

بتوجه الحدران الوحيد لمقار المؤسسة المصرية لإنطاق الحيوان.. بل تمتص الحرارة ووطأتها وهو يقودونه إلى حيث صديقه العالم الشاب رضا مهاب

في ركن من العنبر المتسع ذي الحدران الوديعة كان اللقاء الأول مع القردة الوديعة الوجه رغم قبحه وقد استكانت فوق مقعد خشبي إلى جوار صديقه.

كما كان أول تعرفه على حقيقة أبحاث الصديق العالم في مجالات انطاق أقرب المخلوقات شبها بالانسان

حياه.. جلس.. ثم سأله وهو يومئ إلى القردة

- من فصيلة الشمبانزي؟

داعب الصديق العالم اذن القردة

أجل.. أنثى شمبانزي

مد يده بدوره يمسح على شعرها الكث الخشن

- أليفة

- اسمها حمرة.. وتبلغ من العمر ستة أعوام

ثم وهو يحتضنه.. يبدو أن الموضوع الذي استدعيتني من أجله سيكون شيقا

كانت اللحظة التي ينتظرها الصديق عالم النفس ليطلق العنان لكلماته..

- لقد بدأت أعمالي على القردة منذ نحو أربعة أعوام.. كانت أعواما شاقة لكني حصلت خلالها على نتائج مشجعة.. لا بأس بها.. وفي المبدأ كان يؤرقني سؤال.. هل يمكن إنطاق الحيوان.. فلما وجدت في القردة أقرب الشبه من البشر اصبح السؤال.. هل تتكلم القردة مثلما يتكلم الإنسان..

لكن حاجب الإخفاق التي واجهتني طيلة هذه الأعوام غطت على تساؤلاتي السابقة بسؤال اخر أكثر إلحاحا.. فهل سرت حقا في الطريق الصحيح منذ البداية

وأشار إلى القردة الساكنة..

أعرف.. حمرة هذه.. هي ثالثة القرود من فصيلة الشمبانزي.. التي أجري عليها أبحاثي.. أولاها كانت أنثى.. مثلها.. ولاهيا الذكر.. تيه.. وهو من فصيلة الشمبانزي كذلك.

وربما تعلمت الأولى عددا محدودا من الإشارات الصماء.. خط به معظم التراتيب.. وقد استعملت في تعليمها نفس ما استعملته في تعليم القردة حمرة

انه.. احساسهم الذي يجاوز عن جنسهم من الحيوان.. تصور.. لقد أشارت حمرة منذ أيام إلى قطا يلتف متلويا بإلحاح قطا..

فلما استفسرت منها عن سبب أنه أشارت.. وحيد.. أين رفيقه.. عندئذ هتف الأول القادم عبر الصحراء

- عظيم.. أرى نتائج أبحاثك مشجعة

تمس العالم رضا مهاب في رجاء:

وفي يقيني.. أن تسهم معنا في الوصول إلى نجاح أكيد

امتزجت الدهشة بعدم الفهم عبر قسمات الأول.. أنا؟

في حين تابع العالم.. إن جراحة الأعصاب تخصصك.. ولو خدمت فلن أجد أحدا أجدر بالثقة من امثلك

الطبيب الجراح صلاح الدين عبده.. ليجري جراحة دقيقة في مخ هذه القردة

فوجئ الطبيب.. فلم تسعفه الكلمات.. فقط ردد

- جراحة لحمرة؟

- وربما للجميع.. الأولى في مخها والثانية في الأوتار الصوتية بحنجرتها

● ● ● ●

ومع الشريط الحافل لذكريات الطبيب صلاح الدين عبده تتابعت بقية أيام وشهور العام ١٩٨٥.. شاهد نفسه وهو يجري الجراحة الدقيقة خلال ساعات ست في منطقة الكلام بمخ القردة الشمبانزي حمرة.. فيزرع تلك الكبسولة المشعة وسط التعريج الذي لمنت فيما بعد أذنها اليسرى.. يتبعها بجراحة اخرى أقل مشقة في أوتارها الصوتية

لم تأت النتيجة مبهرة.. وكانا معا متوقعا.. لكنه وصديقه عالم النفس لاحظا تغيرا ملفتا على القردة.. فقد بدت أثناء جلسات تعليمها تظهر قدرا أسرع على الفهم واستيعاب الإشارات والتصرفات الحديثة.. بل بدت في مرات كثيرة.. وربما هي تستمع إلى واحد من الشرائط الصوتية أو تنظر على الآلة الكاتبة الكهربائية مصدرة الكلمات المنطوقة.. بدت وكأنها تعاني نوعا من الصراع الداخلي.. كأنها تحاول عبثا أن تنطق شيئا.. تلفظه من حنجرتها

وكأنما ماغوست بلا سبب ظاهر واستكنت جانبي رأسها بأصابعها الرفيعة وغرزت عنقها في ضيق وعناد... بل من البديهي أنها أطلقت مرة أو مرتين نخات صوتية قاربت نخات صوت لطفل يطلب الحلوى.

تقفز شريط الذكريات القريب... فالحق ليوم العام الماضي ١٩٨٦... لقد استقر رأي الطبيب صلاح أن يقوم بتدريب قردة الغوريلا بدلاً من الشمبانزي... ووافقت الفكرة عالم النفس بعد أن اقتنع بما شرحها فاختار أنثى غوريلا بلغت سنها الخامسة واسماها: فكي.

عندئذ توقف شريط الذكريات لدى الأول من شهر مايو يوم أجرى الطبيب صلاح الجراحة على مخ الغوريلا حيث زرع فيه كبسولة الشعاع الكثر... كما أجرى تعديلا على أجزاء من أوتار صوتها وفور انتهائه من الجراحتين ارتفع معدل ذكاء الغوريلا فكي فتعدى مستوى ذكاء طفل في العاشرة من عمره... وبالتالي تطورت قدراتها بصورة مدهشة فاستطاعت لأول مرة - في تاريخ محاولات إنطاق القردة - أن تنطق كلمات كاملة بلغة البشر... صحيح كانت كلمات محدودة... لكن أمكن تمييزها وفهمها بسهولة وكان هذا أول نصر حقيق جراته.

ضجت القاعة بتصفيق حاد لا يدري سببه... فقفت حوله شهورا... كان الحفل الذي نظمته مؤسسة إنطاق الحيوان بأهداف الآن شروطه... ومندوبو الصحافة العالمية ووكالات الأنباء والمحافل والجماعات العلمية يتلهفون بالأمهم لتفاصيل الخبر المثير - عن طريق أقمار التلفزيون عبر الرؤية - إلى أركان وأنحاء كوكب الأرض... والى خارج كوكب الأرض...

لقد نطق أول مخلوق في مملكة الحيوان... لقد نطقت قردة بكلمات ولغة البشر... لكنه وجد الكل منشغلا بالكلام مع القردة والاستماع اليها... فعاد بذلك نفسه الأسبوع مرة أخرى مع شريط الذكريات... عندئذ ومضة تدعو بالذاكرة برزت امام مخيلة الطبيب صلاح الدين عبد ربه احداث ذلك اليوم الذي لا ينساه... في سلسلة تجارب ومحاولات الانطاق الجادة التي اصبح يشارك فيها بكل جوارحه... العشرون من نوفمبر ١٩٨٦... كان يوما مشهودا حقا.

على انه احب ان يبدأ الرؤية من أولها... فتعمق في شريط الذكريات مسترجعا الى الوراء... وكان يوم الرابع او الخامس من نوفمبر... وعلى وجه الدقة كان يوما قارس البرد...

وهكذا قلدي وصوله في الصباح - وعلى خلاف العادة - وجد صديقه عالم النفس رضا مهاب يكاد يختنق داخل معطفه الثقيل... وقد وقف يترقب قدومه امام بوابة المبنى الصحراوي...

ابتدره العالم متهللا... أخيرا... ها قد أفلحت اخيرا

ثم احتضنه من ذراعه واقتاده متعجلا الى الداخل وقد أوشك ان يجره جرا في حين الفرح لقد عن آخره...

- تعال... تعال... سترى اكثر فكثر ما أريد لك...

وترك الطبيب صلاح الدين قياده للبغية صديقه التي توجهه...

- ما كل هذه اللهفة على وجهك...

رد الآخر بسحنة الطفل... تعالى مفاجأة

وبلغا حجرة الحفل... وفتح عالم النفس بابها وتنحى جانبا... وحين ولج الطبيب الباب أطلقت على الرغم منه صيحة إعجاب... غوريلا... شابة جديدة!!

- اهلا بك... انا لولو... وقد... من امبوسبا واهديت الينا منذ ليال اربع...

ولم يفق الطبيب صلاح الدين على كم اعجابه وهو يتفحص القردة القابعة في سكينة... وقد احدث ترقبه بمرافقيه حال عيون دعجاوين تحتال بالدهشة والبراءة

- رائعة... رائعة...

- والأروع ان احتبارات الذكاء مثبتة على تقدم مستواها الحقل... انها لا تقل عن مستوى ذكاء صبي في الواحدة عشرة من عمره

والقي اسئلة ليجري الطبيب صلاح عبد ربه الجراحتين المعهودتين على القردة الغوريلا باقيها كدراسته مع صديقه عالم النفس... انها من امتحانات على الجراحتين... والقي يوم العشرين من نوفمبر... فوجئ وصديقه بالقردة في أول عرس لها ترددا أول الكلمات التي استوعبتها... بنطق آدمي... تقال بنطق الانسان وبطابعه

بل بدت القردة في صوتها وتعابير كلامها وحتى بالاشارات التي تصدر عن رأسها الضخم واصابعها العارية من الشعر وكأنها مخلوق بشري... وبدأ تاس الشكر لم تحو تحت ثقل الكثير المتدلية من الشعر الفاحم القصير

- أنا... لولو...

لولا... غوريلا... غوريلا ذكية

- انسان... احب... كثير...

الحيوانات... و... و الانسان...

وتمر مزيد من الأيام ظهرت لولو الحسنة كما اطلق عليها كافة جمع مواطنيه في الانطاق قدرا اكبر من الفهم... والذكاء... والاستجابة... وحالاتا لسلوك من سقوطها فلم تلجأ الى الخداع او الكذب... وإن حدث لها حيوان مطاردة الى الصمت والاكتئاب... وربما شكلها الحزن الشديد حين تتعاطف مع حيوان آخر تحبه في محنة

كل الثورة السابقة تحدث ذلك من قبل... ذكي الغوريلا لولو... بدت آكثرها اسرافا في مشاعرها واحاسيسها تجاه الكائنات الحية... وبخاصة الحيوان...

ذات يوم بلغ بها الابتهاج منتهاه حين انت من نافذة حجرة المعمل احد حراس الدار بقتل فأرا حيا تحته فاندفعت تصيح وهي تطرق صدرها بكلتا قبضتيها في ضربات متلاحقة...

- فأر... مات... فأر... مسكين... مسكين...

والقريب عالم النفس يهدئ من ثورتها بالتربيت على ظهرها

- بل الفأر حيوان ضار... ولذلك سكته الحارس ليتقي شره...

الا ان القردة قطبت بعيدا عن يده وعضت عينيها تمتلئان بالدموع...

- الحارس شرير... الفأر مات... مسكين...

وحين هدأت الغوريلا لولو في اليوم التالي فإنها لم تكف عن القاء سيل من الأسئلة المتلاحقة

- كيف... اسكت الحارس... الفأر؟...

- بالمسدس

- على بعد؟!

- المسدس يطلق رصاصات تدفع التصيب قتلا عن بعد

- كيف... كيف...؟

ولم تكف عن ترديد كلمتها حتى احضر لها الطبيب صلاح الدين مسدس الحارس وحاول وعالم النفس ان يشرحا اجزاءه وكيفية عمله ثم تركاه قبالتها... عندئذ اقتربت القردة منه... لفت حوله مرتين... وشمته... ولم ترده لمسه... ثم احدثت عليه باصبع واحدة... واخيرا حركت فتناولته في راحتها... لكن سرعان ما القت به بعيدا وهي تبتهج في حزن عميق...

- شرير... حارس... شرير جدا مسدس...

ثم التفتت وكأنما تبحث لشيء غائب عنها قبلا... من اين... مسدس؟

- الحارس

- من اعطاه... حارس...

- رئيس هذه الدار...

- ومن اعطاه... هذا...

- المصنع... اشتراه ثم اشتراه من المصنع

- المصنع؟ ما المصنع؟...

- انه مكان تصنع فيه المسدسات وبقية الاسلحة والذخائر...

- من في المصنع من صاحبه؟!

- بالطبع الانسان...

وتوقفت القردة عن القاء اسئلة اخرى... وتصمت برهة... قبل ان تطلق مندفعة كمن حالتين في كثير من اليأس... شرير انسان... شرير انسان...

وتركت القردة... بشغلها الصباح للوان... لكنها لم تلبث سنها فارفع اصبعا تهرش به خلف عنقها

- ذكي انسان... يصنع اشياء كثيرة... كثيرة... عالما بها انتبها...

وكانت تكتشف لأول مرة منذ قدومها

وتتضح حصيلة معلومات الغوريلا لولو الحسنة... مع ازدياد ما تتلقاه من دروس وتدريبات... ومن اتساع تساؤل الى حالات لما فيشغلها... لم يعد المسدس والحارس والانسان هم وحدهم الأشرار... انما اضيفت اليهم قائمة طويلة تضمن العديد من الاشياء منها النار والمدفع والسكين والصاروخ والحربة والقنبلة وعود الكبريت والدبابة

بل كرهت لولو كذلك صور الطائرات والسفن والقطارات لأن منها ما يطلق رصاصا او قنابل او دخانا مسمما يقتل الحيوان... والنبات... والانسان... وقد لوحظ ان نطقها لكلمة الانسان في آخر القائمة كان تحوي كما من الامتعاض والنفور والضجر...

وتمر شهور تالية واخذت تسيطر على القردة رغبات ذاتية او شيء من هذا القبيل... فتعرض خلال وجهة نظر خاصة بها عن ملاحظات تعن لها... بها... من رؤى... واحداث وموجودات...

- الطائر مخطوط... عندما يقتله الحارس مسدسه...

- الانسان... يقطف الطيور حتى في البحر... حتى في السماء لماذا؟

- لم تقلدون... تعيرون... كل ما حولكم... وطبائعكم السيئة كما هي... تتكئ بلغها على حرف الرب نعبد

نداء "لولو" السري

إليها وتأخذ في الكلام مع نفسها في حيرة وعدم اقتناع ... «حراس خمسة مسلحات .. خمسة .. كلهم .. قتلا لقلب مريض .. ضعيف ..».

أما تعليق «لولو» القردة الغوريلا حين تشاهد برامج المصارعة عبر شاشة التليفزيون فهو متعصب لكنه لاذع ..

«انسان يتسلى .. يتسلى .. يتعذب أخيه .. ويحقر نفسه ...»

حين دقق في ثنايا ما يتبقى من شريط ذكرياته تبينت له في وضوح الحادثة المرعبة التي تعرضت لها الغوريلا «لولو» ورفيقتها «فيكي» .. والتي راحت ضحيتها الأخيرة ..

إن الطبيب الجراح صلاح الدين عبد ربه لن ينمحي من ذاكرته منظر القردتين وقد التصقت كل منها بالأخرى وانكمشتا في هلع وكأنهما اثنان من البشر .. وذلك حين نشب العراك الماضي بين حارسين من حراس الدار .. وحين امتشق أحد الحارسين مسدسه وأطلقه على زميله فأرداه طار صواب القردتين الى القاتل وكانت فيكي .. فبادرت بالقفز نحو حارسها الصريع في ذعر للقاتل عليه .. لكنها تلقت بدورها رصاصة طائشة كومتها الى جواره ..

في نفس اللحظة وبسرعة خاطفة انقضت الغوريلا لولو على الحارس القاتل من خلفه .. ودفعته بكفيها القويتين دفعة زلزلته وأطارت منه مسدسه .. وبدلا من ان تنشب لولو أصابعها في عنق الحارس .. تحكمت بالنشاط المتنفس .. وأحدثت فيما يشبه الهستيريا تضرب بيد تنوءا صخريا ضربات متلاحقة محمومة الى أن حطمته ..

ثم انهارت فارتمت على الأرض الى جانب رفيقتها فيكي .. وأجهشت وهي تحتضنها بحنان ..

ظلت «لولو» أياما تعاف الطعام ولا تكلم احدا .. وكان الحزن يحرق وجهها ويستقر عميقا في الجوارح ... وأحاديث كل من بالدار رغبتها في الانطواء .. وان راحوا يحثونها على الأكل .. والذي تقهرها .. بعد أسبوع من الحادثة .. غادرت «لولو» من عالم النفس رعبا مهابة وسألته ..

«أتعرف؟ كان الحارس .. الذي قتل .. حارس .. آخر ..».

فلما أبدى العالم حيرته من طرحها السؤال .. بادرته بسؤال جديد ..

«أنا أقول لك .. شجار .. وقع .. بين اثنين .. من أجل انثى ..».

وصمتت العالم نفسه عما يدور خلايا مخها الوهاجة .. الفاحصة .. لأنه وانها تقف لتصل الى امر بعيد .. يحاول الوصول اليه مباشرة ..

«لا أدري ان كان سبب الشجار بين الحارسين هو الطمع أم التنافس على مركز أو امرأة .. التحقيق سيظهر كل شيء .. المهم ما الذي دفعك للنطق بهذا الكلام»

كانت تراقب معلمها باهتمام شديد .. كما لو كانت تشد التسلل الى داخل صدره .. لم تجد على الفور .. على عادتها دارت حوله ببطء .. وقد تدلت ذراعاها الطويلتان على جانبيها في استكانة .. ثم انتصبت ساقيها وتراقصت رفعت الغوريلا الحبيبة وجها حانيا وراحت تتفرس في عيني معلمها طويلا .. بينما فتحتا منخاريها تتوتران بهدوء وكأنها تود كلماتها تحاول ان تطلق سراحها ..

«لأن .. أسد .. لا يقتل .. الا عند جوع .. أو أجل أنثى ..».

وأضافت بعد أن شبكت أصابع يديها معا وتراجعت مؤخرتها على الأرض ..

«كل حيوانات .. لا تقتل .. الا للدفاع .. الا .. لسبب .. قوي .. قوي ..». على أن شجاعتها تخلت عنها فجأة فذابت بدورها الظاهري واحتدت نبرتها في ضيق وعصبية ..

«انسان .. عاود تلك .. أسلحة كثيرة .. لماذا يقتل ..؟».

واتفق عالم النفس والطبيب الجراح على حجب ذكر الأسلحة وأدوات القتال والدمار امام القردة قدر الامكان .. وصرف انتباهها الى المعارف الأخرى في شتى المجالات ..

لكن لولو الحبيبة وأثناء تسليتها بتصفح صور بعض المجلات ذات مساء .. اذا بها تمسك بإحداها وتستقر أمام صورة ملونة بعرضها .. وراحت تتفرس فيما يشبه شجرة ضخمة ثالثة الساق تتوسط سماء صفراء وحمراء وبرتقالية مبهرة الاشعاع .. ويومها اطالت التفرس في الصورة الغريبة حتى استرعت انتباه الموجودين حولها ..

سألها الطبيب صلاح الدين .. «لولو، ما الذي يثير فضولك الى هذه الدرجة؟»

«الصورة .. غريبة ..».

«أريني اياها».

وعرف الطبيب حقيقة المنظر المصور بمجرد وقوع نظره عليه .. في حين سألت «لولو» ببراءة .. «ما هذا؟».

لكنه أجاب في تلعثم .. «انها وحدة الشجرة ..» وحاول ان يحجب انتباهها بعيدا .. انظري يا لولو هذا قطيع بديع من أفيال الدرافيل تجوزه هذه الصورة ... وهو يظهر .. أنت تعرفين الدرافيل .. انه هذه السمكة البالغة الذكاء سوف تكون التالية بعدك في تعلم لغتنا ..

لكن «لولو» لم تحد عن الصورة الأولى .. ووضعت أصبعها عليها وكررت .. «ما هذا؟» اضطر للاجابة .. «انه انفجار ذري ..»

«ما انفجار .. ذري؟».

احس الطبيب صلاح الدين بالارتباك .. كيف ينقل اليها .. هذه الحقيقة المرعبة المتوترة .. كيف يخبرها حقيقة الموضوع دون أن يخيفها .. ان الأمر يطول شرحه .. حسن .. وركز بصره عليها .. بينما يفتح ذراعيه مصورا شيئا ضخما ..

«الانفجار .. الذري .. انفجار مهول .. يساوي انفجار عدد من القنابل في دفعة واحدة ..

«مهول ..»

«انه يتم في الصحراء بعيدا عن الناس».

«مهول .. مهول .. كيف ..؟»

«ان انفجارا ذريا واحدا .. مثل الذي ترينه في الصورة .. قادر على أن يمحي مثلا مدينة ضخمة .. بيوتها وشوارعها وأشجارها وكل شيء فيها .. لكن هذا لا يحدث .. فقوانين الدول تمنع ذلك ..» وتكشفت لولو بداخل فراغها .. «يعني .. القرود ..؟».

«يعني كافة الحيوانات الموجودة .. في منطقة الانفجار».

«والقرود ..؟».

«... والقرود ..».

وتمتم القردة .. «انفجار مهول .. ما سببه ..؟».

«قنبلة».

«قنبلة .. مهولة ..!».

«لا أدري حجمها ولا شكلها .. لم أر .. صورا لها».

«من يصنعها؟».

لكن القردة تحول وجهها الى الناحية الأخرى .. قبل ان تأتيها اجابة الطبيب ..

«انه الانسان ..».

وتدوي كلمة القردة الغوريلا ..

«انه الانسان».

ويتردد صداها علوا وارتفاعا .. «انه الانسان».

ويرتج مع الطبيب صلاح الدين عبد ربه بلا جواب رأسه القنبلة ..

«انه .. الانسان .. الانسان .. الانسان ..».

ويجيء التصفيق المتواصل للطبيب الجراح الى واقعة يتمنح عينيه على سامعيها .. حتى تعم المتفجرة العظيمة في اتجاه القردة «لولو» .. لقد كفت عن الكلام وقعت الآن في هدوء .. وعاد مرآها الى سابق العهد بين جنسها من قصور وتخلف والعجمية ... شيء واحد جد عليها لم تلحظه غير عين الطبيب صلاح الدين القريبة .. لقد حل بها تعب واعياء لم يعهد لها قبلا ..

ويقف الطبيب متعمدا ويلقي .. الآن وحسب عليه انهاء الحفل بالقاء كلمة الختام .. وهي كلمة تقليدية متضمنة في الحاضرون انها ولابد حلت من المناقشات مثيرة .. لكنهم باتجاه القاعة وسوايها وقد حيرهم طول الجلوس وامتداد الحوار وحضره بعد بلوت ..

«بل ان أعلن عليكم مفاجأة أخيرة .. فابتداء من اليوم سوف يكون هناك اتصال دائم للتخاطب والتفاهم بيننا نحن البشر وبين هذه المخلوقات الذكية العظيمة .. قردة الغوريلا .

لقد نسيت ان اقول لكم ان «لولو» أما لصغير عمره خمسة عشر شهرا اسمه «سكو» .. وابتداء من الأسبوع القادم كذلك سوف تتولى «لولو» تعليم صغيرها «سكو» وقردين آخرين في مثل عمره النطق بلغة البشر .. تحت الاشراف المباشر .. ونحن نتوقع أبهر النتائج وأسرعها من وراء هذه التجربة ..

تحت أعين المختصين والمشرفين وموظفي دار الأبطال ابتدأت «لولو الحبيبة» دروس تعلم وتدريب صغيرها وصحبته الأخرين في المراهقة المحددة بالضبط .. وقد انهمكت «لولو» في أول درس لها ولمدة دقيقة كاملة بحركات متقطعة لم تسترع انتباه احد من المراقبين .. وحتى مع تكرار «لولو» لنفس حركاتها في بدايات دروسها التالية لانطلاق صغارها لغة البشر .. لقد ظلت هذه الحركات دون أي ريبة او تساؤل او اعتراض ..

ومهما تضخمت الشكوك وانبسطت التصورات فهل كان يخطر بمخلوق ان يسيء الظن تلك هذه القردة الوديعة شديدة التطهر .. فمن انها تعني كل كلمة من كلماتها المحمل التي تحرص على نطقها بلغة الغوريلا أول كل بداءة مع صغارها ..

لكنها الحقيقة التي طوتها صفحات الفرص والكتمان ..

لقد كانت «لولو» تعلن بالفعل نداءها الصارم ..

«تعلموا .. بكل .. جهدكم وإصراركم .. لغة .. تلك .. هذه المخلوقات .. الغريبة .. حتى ينشأ منكم جيل .. قوة .. أمثال .. يتفوق عليهم .. فيمحو شرورهم .. وينقذ العالم .. الشاكي .. من الفناء والتدمير والفناء ..» ■